منهج الشيخ علي يحيى معمر النقدي لكُتّاب المقالات

أ. فوزي بن يونس بن حديد
تونس / مقيم بسلطنة عُمان
abuadam22f@gmail.com
0096895798842

الملخص:

انبرى الشيخ علي يحيى معمر في كتاباته التاريخية الثلاثة المشهورة وهي "الإباضية في موكب التاريخ" و"الإباضية بين الفرق الإسلامية" و"الإباضية مذهب إسلامي معتدل" يدافع عن المذهب الإباضي الذي تعرض إلى كثير من الافتراء والبهتان من المؤرخين وكُتّاب المقالات القدامى والمعاصرين والمستشرقين فحاول أن يوضح اللبس الذي وقع فيه هؤلاء ويبين الحقيقة الناصعة لهذا المذهب منذ نشأته واعتبار الإباضية فرقة من الفرق الإسلامية لا فرقة من فرق الخوارج بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة دون إساءة إلى أحد ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان "منهج الشيخ علي يحيى معمر النقدي لكُتّاب المقالات" وقسّمته إلى مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة.

عرّفتُ في المبحث الأول بكُتّاب المقالات وصنّفتهم وفق تصنيف الشيخ نفسه، وذكرتُ في المبحث الثاني محاور نقد الشيخ لكُتّاب المقالات ونقاشه معهم، واهتم المبحث الثالث بالمنهج التاريخي الذي اتبعه الشيخ في تحليله، وتناول المبحث الرابع أسلوب ردّ الشيخ على كُتّاب المقالات، واتبعتُ في ذلك المنهج التحليلي الاستقرائيّ لبيان ما كان يسعى إليه الشيخ من وراء ما كتبه في تآلفيه.

ومن خلال ما تقدم، وبعد الغوص في مكنونات كتب الشيخ الثلاثة، تبين أن الشيخ سلك مسلك تاريخيًّا، زينه بأسلوبي أدبي، عبّأ فيه مظاهر أحقية المذهب الإباضي بوصفه فرقة من الفرق الإسلامية بعيدا عن التهمة التاريخية التي ألصقها المؤرخون والكُتّاب إما عمدًا أو سهوًا، وبين للعالم أجمع نصاعة عقيدة المذهب وفكره ونقائه.

1- رأى الشيخ أن الإباضية فرقةٌ وأدها التاريخ وأخفى حقيقتها وما تتميز به من خصائص وضوابط، فأراد أن يُعيد لها الحياة من جديد فانتصب محاميًا عنها ومدافعًا عن مبادئها دفاعًا مستميتًا.

2- دعا المذاهب جميعًا إلى الوحدة الإسلامية وبيّن ضرورتها في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، كما أشار إلى أن الإباضية ليسُوا خوارج كما يعتقد بعض المؤرخين الذين لا يتحرون الحقائق ويأخذون ما هبّ ودبّ دون تمحيص أو تدقيق.

3- فنّد أقوال المؤرخين القدامى والمحدثين سواء كانوا مسلمين أو مستشرقين الذين جعلوا الفرقة الإباضية في قفص الاتهام الذي حُشرت فيه ظلمًا وعُدوانًا.

4- يغلب على مناقشاته الهدوء، وتزينت بروح الإخاء إذا كان المناقَش مسلمًا مع التماس العذر، أما إذا كان المناقَش مستشرقًا، فإن الحوار معه يتميز بالهدوء والاحتياط اللازم وذلك لما يخبئه المستشرقون من دسائس وسموم.

5- اتبع المنهج التاريخي الحديث الذي يعتمد على الاستقراء والتجربة والملاحظة وقد بينا كيف أن الشيخ قد سار على هذه الخطوات رغم بعض النقائص، ولعل الذي يجذب القارئ عندما يتصفح هذه المؤلفات الأسلوب الأدبي الذي يتميز به، وتلك قدرة تدل على امتلاك الشيخ ناصية البيان تصويرًا وتعبيرًا.

هكذا كانت شخصية الشيخ علي يحيى معمر العبقرية، فرحمه الله رحمة واسعة وطيّب الله ثراه، وأسكنه فراديس جنانه.

الكلمات المفتاحية: الفرق الإسلامية، المؤرخين القدامى، الإباضية ، كُتّاب المقالات

المقدمــة:

الحمد لله الذي يؤتي الحكمة من يشاء، القائلِ في محكم تنزيله "إنما يخشى الله من عباده العلماء"[1] ونشهد أن لا إله إلا اللهُ الذي يختار من عباده من يشاء، ويهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، ونشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم خيرُ الرُّسل والأنبياء، جاءنا بالحنيفية السمحاء، فبلّغ رسالة التوحيد والوحدة والوئام وذكر أن العلماء ورثة الأنبياء، صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الأوفياء أما بعد:

فإن العالم الإسلامي كان ولا يزال يزخر بطاقات بشرية هائلة وعقول مفكرة نيّرة تسهم في إضفاء روح التجديد والإصلاح كلما خامرته تصورات باطلة أو سلوك خارج عن الإطار يؤدي إلى الفرقة والشتات.

وقد كانت ليبيا وتحديدا جبل نفوسة واحدة من هذه الأقطار التي أنجبت علماء أفذاذًا يدافعون عن عقيدتهم ومبادئهم بكل جرأة وشجاعة منذ القرن الأول الهجري وسخّروا حياتهم ويراعهم لنشر العلم، والمعرفة، ومحاربة البدع، والخرافات.

ولقد تشرّفتْ مدينة نالوت الإباضية التابعة لجبل نفوسة في القرن العشرين بظهور شخصية عبقرية جلبت الأنظار وأعادت الأمل إلى أهل الجبل بعد أن تعرّض لموجات من الجهل والجمود الفكري نتيجة الاستعمار والأحداث السياسية المتتالية في بداية ذلك القرن، إنها شخصية المؤرّخ علي يحيى معمر – رحمه الله – التي نهضت بواجبها وتحمّلت أعباء المحن في سبيل الإصلاح والتجديد.

[1] سورة فاطر الآية رقم 28.

وأحسب أن البحث في موضوع يتعلق بهذه الشخصية وما حوته من فكر وعقيدة وخُلق له من الأهمية بمكان حيث تتضح فيه شخصية علي يحيى معمر الداعية المُصلح المجدّد المدافع عن فرقته الإباضية وما تعرّضت له من تهم باطلة لا أساس لها من الصحة من المؤرّخين القدامى والمعاصرين والمستشرقين، فسخّر قلمه ويراعه لبيان حقيقة هذه الفرقة وفساد ما يعتقدون والدعوة إلى وحدة الأمة ونبذ الفرقة والتشتت.

وبعد قراءة مستفيضة لمؤلفاته التاريخية "الإباضية بين الفرق الإسلامية" و"الإباضية في موكب التاريخ" و"الإباضية مذهب إسلامي معتدل" تبين منهج الشيخ علي يحيى معمر التاريخي التحليلي لتفسير ما استشكل على الناس من حقائق ذكرها المؤرّخون في مؤلفاتهم.

ولذلك ارتأيتُ أن أشارك في هذا المؤتمر العلمي الثالث الموسوم بـ: (علماء وأعلام ومعالم نفوسة وزوارة ماضيًا وحاضرًا) برعاية بلدية جادو ومؤسسة نفوسة للتواصل الاجتماعي تحت شعار "نفوسة عراقة وحداثة" ببحث أسميتُه "منهج الشيخ علي يحيى معمر النقدي لكُتّاب المقالات" وقسّمته إلى مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة، ولم أتطرق إلى سيرته درءًا للإطالة واختصارًا للبحث وربما ذكر ذلك أحد من قبلي.

عرّفتُ في المبحث الأول بكُتّاب المقالات وصنّفتهم وفق تصنيف الشيخ نفسه، وذكرتُ في المبحث الثاني محاور نقد الشيخ لكُتّاب المقالات ونقاشه معهم، واهتم المبحث الثالث بالمنهج التاريخي الذي اتبعه الشيخ في تحليله، وتناول المبحث الرابع أسلوب ردّ الشيخ على كُتّاب المقالات.

واتبع الباحث منهجًا تحليليًّا استقرائيًّا من خلال مؤلفات الشيخ علي يحيى معمر الثلاثة التي ذكرتها آنفا.

هذا وأحسب أني قد وُفّقتُ في كتابة هذا البحث، فإن كان كذلك فهو من الله وحده سُبحانه وتعالى وإن أخطأتُ فذلك مني ومن الشيطان.

مسقط في 10 من رجب 1445هـ الموافق لـ 22 يناير 2024م

تمهيد:

ما كان الشيخ علي يحيى معمر ليردّ على كبار العلماء المؤرّخين القدامى أمثال أبي الحسن الأشعري وعبد القاهر البغدادي وابن حزم والشهرستاني والمؤرخين المعاصرين أمثال علي مصطفى الغوابي وأبي زهرة وشيبة الحمد ويحيى هويدي وعز الدين التنوخي وحتى المستشرقين أمثال جوتييه وكارلو ألفونسو نلينو لولا تجنّيهم على المذهب الإباضي ووصفهم الإباضية بأنهم خوارج أو ينتمون إلى فرقة الخوارج.

وليس من طبع الشيخ ولا من طبع المذهب الإباضي الذي ينتمي إليه الردّ بعنف على كل من تطاول على مذهب له تاريخ عريق، بل يُصنّف بكونه أقدم مذهب على الإطلاق لأنه يُنسب إلى الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه الذي عاصر الصحابة الأجلّاء أبرزهم البحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. بينما كل أئمة

المذاهب الأخرى التي ينتسب إليها كلّ كُتّاب المقالات الذين ذكرهم الشيخ علي يحيى معمر في مؤلفاته التاريخية ما عدا المستشرقين جاؤوا من بعد الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه، وأولهم الإمام أبو حنيفة الذي ولد سنة 80 هـ أي قبل وفاة إمام الإباضية بـ13 عاما، ثم الإمام مالك بن أنس الذي ولد في 93 هـ وهي السنة التي توفي فيها الإمام جابر بن زيد على أرجح الأقوال، ثم الإمام الشافعي الذي ولد سنة 150 هـ أي بعد وفاة الإمام جابر بن زيد بأكثر من 56 سنة ثم الإمام أحمد بن حنبل الذي ولد سنة 164هـ أي بعد وفاة الإمام جابر بسبعين سنة.

ومع ذلك فإن كُتّاب المقالات كانوا يكرّرون العبارة نفسها ويصرّون على أن الإباضية خوارج، ورغم أن المحدثين منهم قد توافرت لديهم المصادر الإباضية وقادرون على الوصول إليها بسهولة إلا أنهم جميعا وقعوا في فخّ اتهام الإباضية بهذه التهمة التي ألصقت بهم ظلما، ومع أن الأستاذ عز الدين التنوخي كان أكثر اعتدالا من سابقيه إلا أنه لم ينف صفة الخارجية عن المذهب الإباضي.

لذلك اختار الشيخ علي يحيى معمر الردّ عليهم جميعا بما يناسب مقامهم العلمي، وبيّن حقيقة المذهب الإباضي ونشأته الأولى في سياقها التاريخي بصفته مؤرّخا وناقدا وناصحا، واتبع في ذلك المنهج التاريخي وردّ عليهم جميعا بالحكمة والموعظة الحسنة وجادَلهم بالتي هي أحسن دون استنقاص من قيمتهم العلمية أو مسٍّ بكرامتهم الشخصية، فهم علماء أجلّاء كبار لهم مؤلفاتهم وإسهاماتهم ومكانتهم التي ينبغي احترامها ولو اختلفنا معهم جميعا.

فمن هم هؤلاء كُتّاب المقالات؟ وكيف صنّفهم الشيخ علي يحيى معمر في مؤلفاته التاريخية الثلاثة وهي "الإباضية في موكب التاريخ" و" الإباضية بين الفرق الإسلامية" و" الإباضية مذهب إسلامي معتدل"؟ وما هو محور الخلاف بينهم وبين الشيخ؟ وما المنهج الذي اتبعه في الرد عليهم؟

المبحث الأول: التعريف بكُتّاب المقالات وتصنيفهم:

كُتّاب المقالات أو أصحاب المقالات هم المؤرّخون والكُتّاب والأدباء والفلاسفة الذين كتبوا عن تاريخ الفرق الإسلامية بعد نشأتها، وهمّوا بنقل جميع الروايات التي تتحدث عن المذاهب ونسبتها إلى أصحابها. وقد سلك هؤلاء طرائقَ ومسالكَ قِددا في التأليف، حيث كان منهج البعض يتمثل في النقل دون تمحيص وتدقيق، بينما اتبع البعض الآخر منهجًا أكثر اعتدالًا وتحليلًا ودرايةً، فبحث في الرواية ومن نقلها وحلّلها وناقشها من مصدرها وتثبّت منها حتى لا يصيب قومًا بجهالة.

1- كُتّاب المقالات القدامى:

وهم العلماء المؤرخون الذين عاشوا بين القرنين الثالث والخامس الهجريين حسب ترتيب الشيخ علي يحيى معمر نفسه:

أ-أبو الحسن الأشعري:

هو أبو الحسن، علي بن إسماعيل يصل نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، ولد بالبصرة سنة 260 هـ، لازم في بداية عهده أحد علماء المعتزلة وأخذ عنه مذهب الاعتزال ثم ما لبث أن تبرّأ من المعتزلة وسلك مذهب أهل السنة، وانتسب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) وصار أحد العلماء الكبار. وألف عدة مؤلفات أبرزها كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" وهو كتاب استقصاء وتسجيل تاريخي لجميع الفرق والاتجاهات الفكرية التي شهدتها الساحة الإسلامية منذ وفاة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وحتى بدايات القرن الثالث الهجري[2].

حكى الإمام الأشعري في مستهل تقديمه للكتاب عن السبب الذي دفعه لتأليفه إذ يقول "فإنه لابد لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيتُ الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ويصنفون من النِّحَل والديانات من بين مُقَصِّر فيما يحكيه وغَالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ومن بين متعمّد للكذب في الحكاية وإرادة التشنيع على من يخالفه، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين، ولا سبيل الفطناء المميزين، فحداني ما رأيتُ من ذلك على شرح ما التمستُ شرحه من أمور المقالات، واختصار ذلك، وترك الإطالة والإكثار"[3].

ورغم أن المكتبة الإباضية آنذاك كانت تزخر بالكتب في العقيدة والفقه والمنطق وكل أنواع العلوم الشرعية مثل مسند الإمام الربيع بن حبيب في الحديث والمدوّنة لأبي غانم الخراساني في الفقه، وديوان الإمام جابر بن زيد في الفقه كذلك، والجامع لأبي محمد عبد الله بن بركة العُماني في الفقه وأصوله والدينونة الصافية لعمروس بن فتح المساكني في العقيدة وغير ذلك كثير، غير أن الذي حدث أن أبا الحسن كان قد عدل عن هذه الأسفار وراح ينقل الأخبار عن أشخاص مجهولين لا صلة لهم بالتاريخ الإباضي سوى التشنيع بالفرقة الإباضية والغمز في نشأتها وفكرها.

[2] تُنظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، الجزء الرابع ص263 وموسوعة ويكيبيديا

[3] علي بن إسماعيل الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث القاهرة ص 7.

وقد أسف الشيخ علي يحيى معمر كثيرا لما رأى العالم الكبير أبا الحسن يقول مثل هذا الكلام عن الإباضية فقال: "قد يعجب القارئ إذا قلتُ له إن أبا الحسن الأشعري رغم أنه كتب عن الإباضة كثيرا، فإنه لا يعرف عن الإباضية شيئا وإن أكثر ما كتبه عنهم لا علاقة لهم به ولا علاقة له بهم".[4]

فماذا قال الأشعري عن الإباضية؟: "ومن الخوارج "الإباضية""، ثم عدّد فرقهم فذكر أن منهم الحفصية وكان إمامهم حفص بن أبي المقدام، وبين بعض معتقداتهم، ثم اليزيدية وكان إمامهم يزيد بن أنيسة وجاء ببعض معتقداتهم، ثم أصحاب الحارث الإباضي وعدّد بعض ما يعتقدونه"[5].

ورغم تلك الحقائق المزيفة التي صمّ بها أبو الحسن الأشعري آذاننا من ذكر فرق تشعّبت عن الفرقة الإباضية وأسماء رجال لم تذكر في أي كتاب من كتب الإباضية، فإن الشيخ علي يحيى معمر قد التمس العذر لهذا العالم الجليل احترامًا لعلمه ومنزلته بين المسلمين وناقشه مناقشة علمية مع التحليل المتميز بالأسلوب الأدبي الرصين والكلمات الهادئة الهادفة وبيّن تقصير أبي الحسن في بحثه عن الحقيقة التي كان يجب أن تُطلب من مصادر الفرقة الإباضية ومظانها. إذ يقول: "ومفهوم بالبداهة أن شخصا ما أراد التشنيع على الإباضية فاخترع هذه القصة ونسجها على المنوال ثم وجد أبا الحسن الأشعري وهو يهتم بدراسة الفرق وأقوالها وآرائها فألقاها إليه فأثبتها أبو الحسن دون تمحيص أو تحقيق، وليت أبا الحسن حين كتب هذا نسبه إلى مصدره حتى تبرأ ساحة الإمام العظيم من أي مسؤولية وتكون العهدة راجعة إلى أصحابها"[6].

ب-عبد القاهر البغدادي:

هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي ولد في بغداد في القرن الرابع الهجري ونشأ فيها ثم رحل مع أبيه إلى خراسان واستقر في نيسابور ثم انتقل في آخر حياته إلى إسفرايين حتى توفي فيها سنة 490 هـ. وله مؤلفات كثيرة أشهرها الذي يتعلق بالفِرَق كتابه " الفَرْق بين الفِرَق".

وعند حديثه عن الإباضية في كتابه "الفَرق بين الفِرق" قال البغدادي تحت عنوان "في بيان مقالات فرق الخوارج" "قد ذكرنا قبل هذا أن الخوارج عشرون فرقة وذكر منها الإباضية"[7]. وقال: "الإباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان: حفصية وحارثية....."[8].

---

[4] معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1406-1986ج 1 ص 21.

[5] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص 65، و170-176.

[6] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص 36.

[7] البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرْق بين الفِرق، محمد علي صبيح وأولاده، ص72.

[8] المصدر السابق ص73.

ومما قاله الشيخ علي يحيى معمر عن الإمام عبد القاهر البغدادي: "إن القارئ بمجرد البدء في قراءة مقدمة البغدادي (الفَرْق بين الفِرَق) يحسّ كأنه داخل في معمعة حامية الوطيس وكأنه يرافق محاربا شديد المراس قد دجج نفسه بجميع أنواع الأسلحة استعدادا لدخول معركة ينبغي له أن يقضي فيها على عدد من الخصوم"[9]. وذكر أيضًا أن الإمام عبد القاهر البغدادي كان عالة على أبي الحسن الأشعري فأخذ منه الكثير من المقالات دون تحقيق أو تمحيص فوقع في الخطأ نفسه، فهو قد حكم على الإباضية بالضلال وحشرهم ضمن فرق أهل البدع والأهواء وحكم عليهم بدخول جهنم دون رجوع حقيقي إلى مصادرهم أو اتصال بأئمتهم ومذاهبهم رغم الشهرة الفائقة التي كان يتميز بها المذهب الإباضي آنذاك من خراسان إلى الأندلس[10].

ت–ابن حزم الأندلسي:

هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ولد سنة 384 هـ من أكبر علماء الأندلس، عالم فقيه ظاهري ومتكلم وأديب وشاعر ونسّابة وعالم برجال الحديث ومن أشهر مؤلفاته "الفصل في الملل والأهواء والنّحل في دراسة الأديان والفرق والمقارنة بينها"[11] وهو مؤلف طبق الأصل لما كتبه أبو الحسن الأشعري خاصة عند حديثه عن الفرق الإسلامية فوقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه أبو الحسن ولم يحاول التخلص من التلفيق الذي لحق المذهب الإباضي وكان قادرا على ذلك.

لذلك نجد الشيخ علي يحيى معمر يعصره الأسف عندما يتصفح مؤلَّفه هذا ويقلب النظر فيه لما تراءى له من السخافات والضلالات. ويقول عنه الشيخ: "الواقع أنه لا أسخف في التشنيع على الناس من هذا المستوى، إن الإباضية لا يعرفون هذا الشخص المجهول (بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد) ولا يعرفون أقواله ولا يسودون بها بياض صحفهم وينزهون كتبهم عن مثل هذه الأضاليل والدعاوي الفارغة والمقالات الشاذة وهم أحرص على أوقاتهم وأوقات قرائهم أن تضيع في مثل هذه الحماقات التي تعاون على نسج خيوطها التعصب والانغلاق والدعاية الفاجرة والخيال السقيم وعدم الأمانة في النقل والشهادة ثم توجيه السياسة الماكرة بأساليبها المختلفة فوقع ضحية لذلك جماعة من أفذاذ العلماء أمثال ابن حزم"[12].

وفي الرد على ما كتبه ابن حزم كان الشيخ علي يحيى معمر ملتزما بآداب الرد واحترام العلماء مهما صدر منهم من قول فقال الشيخ علي يحيى معمر: " ويؤسفني أن أقول إن العالم الكبير لم يوفق فيما كتب عن

[9] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص43.

[10] ينظر إلى الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص 59–60.

[11] تُنظر ترجمته في: ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، صححه عبد الرحمن خليفة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الأولى سنة 1347 هـ، الجزء الأول ص3–7 وموسوعة ويكيبيديا.

[12] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص59–60.

الإباضية، بل لقد جنى عليهم في بعض الأحيان، وكلامه أحيانا يهدم بعضه بعضا، كما أن بعض دعاويه لا يمكن أن تصدق مهما حاول الإنسان أن يجد لها مبررات"[13]. ومن طريف ردود الشيخ علي يحيى معمر على ابن حزم المعروف بلذاعة لسانه حينما قال ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنَّحَل": "ومن حماقاتهم –يقصد الإباضية–قول بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد فإنه كان يقول: كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة من خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله"[14]. قال الشيخ علي يحيى معمر معلقا على هذا الكلام: "هذه كما يرى القارئ الكريم ليست من حماقات الإباضية وإنما هي من حماقات العالم الكبير ابن حزم الأندلسي وللعلماء الكبار حماقاتهم"[15].

ث–أبو المظفر الاسفراييني:

هو أبو المظفر شاهفور، طاهر بن محمد الإسفراييني فقيه شافعي وعالم في أصول الفقه وأصول الدين، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته لكن حدّدت تاريخ وفاته سنة 471 هـ، عاصر البغدادي وابن حزم، وسلك مسلكهما في الكتابة عن الفرق الإسلامية، له مؤلفات أبرزها كتابه "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"[16].

وكغيره ممن عاصرهم وخاصة البغدادي وابن حزم، زجّ أبو مظفر الاسفراييني الإباضية في باب الخوارج تحت مسمى في بيان مقالات الخوارج وفضائحهم حيث قال عن الإباضية: "اعْلَم أَن الْخَوَارِج عشرُون فرقة كَمَا ترى بيانهم فِي هَذَا الْكتاب وَكلّهمْ متفقون على أَمريْن لَا مزِيد عَلَيْهِمَا فِي الْكفْر والبدعة...."[17] وهو الكلام نفسه الذي نقله عن عبد القاهر البغدادي عن أبي الحسن الأشعري، لذلك علق الشيخ علي يحيى معمر على كتاب الاسفراييني قائلا: "والقارئ الكريم حين يقرأ كتاب أبي المظفر يجده صورة أخرى باهتة للبغدادي، فهو يدخل الموضوع كما يدخل محارب متحمس إلى ساحة معركة حربية حاسمة يتقابل فيها خصمان عنيدان، وهو يعد قبل ذلك كل ما يستطيع من أسلحة أو كل ما أوتي من قوة لينتصر الفريق الذي يريده ويحطم خصمه تحطيما لا يقوم من بعده"[18].

---

[13] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص52.

[14] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة بيروت، 1407هـ –1986م، المجلد الثالث، ج4 ص191.

[15] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص60.

[16] تنظر ترجمته، الاسفراييني، طاهر بن محمد شاهفور (أبو المظفر)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ–1983م، ص9–10، وأيضا موسوعة ويكيبيديا.

[17] التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص45–49.

[18] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص61.

ث–أبو الفتح الشهرستاني:

هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني نسبة إلى شهرستان ولد حوالي سنة 479 هـ وتوفي سنة 548هـ وكان فقيها متكلّما ومحدّثا ومفسّرًا وفيلسوفًا، ومن أبرز كتبه التي ألّفها كتاب "الملل والنِّحل"[19].

ومثل الذين سبقوه جاء تعليق الشيخ علي يحيى معمر حول ما كتبه الشهرستاني عن الإباضية قائلا: "إنه سلك نفس المسلك الذي مرّ به سابقوه فهو يبحث عن أسماء الرجال وينسب إليهم أقوالهم ليبلغ بعدد الفرق إلى اثنتين وسبعين فرقة يدفعها جميعها – محسنها ومسيئها إلى النار ويستخلص منها الثالثة والسبعين فيقودها إلى الجنة، وقد اعتمد في ذلك كله على من سبقه من أصحاب الكتب"[20].

غير أن الشيخ علي يحيى معمر ردّ على الشهرستاني بشقين:

- أولهما أن الشهرستاني لم يلتزم بشرطه الذي أخذه على نفسه، بل سرعان ما تلاشي وانقرض أمام تيار السياسة الماكرة والدعاية الفاجرة والتعصب المقيت فقد قال في كتابه الملل والنحل: "وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، ومن غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعيّن حقه من باطله"[21]
- وثانيهما أن الشيخ علي يحيى معمر أظهر له حسناته حينما بين أنه تميز عن سابقيه بكونه كان يتسم بدقة الملاحظة والمعرفة لآراء الفرق، وجعل بعض من كان يُحسب على الإباضية ليس منهم فرقا مستقلة وأغفل قصة النزاع على الأمة والطفلة.

2– كُتّاب المقالات المعاصرون:

أ– علي مصطفى الغوابي[22]:

هو مؤرخ من المعاصرين، لم نعثر على تاريخ ولادته ولا على تاريخ وفاته، له كتاب عن الفرق الإسلامية بعنوان: "تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين" تحدث فيه عن الطوائف الأربع التي يتكون منها جميع المسلمين في نظره وهي: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمشبّهة.

[19] تُنظر ترجمته في الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، أبو الفتح، المِلل والنِّحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1993م–1414هـ، ص11–15 وموسوعة ويكيبيديا.

[20] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص52.

[21] الملل والنحل ص 22.

[22] ورد اسم الغوابي في كتاب الشيخ علي يحيى معمر "الإباضية بين الفرق الإسلامية، والغرابي على صفحة كتاب الأخير المسمى تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين.

وتحت مسمى الخوارج في الفصل السادس من كتابه ذكر الأستاذ علي مصطفى الغوابي –أو الغرابي في هذه النسخة ولا ندري هنا أيهما الأصح– ما كتبه مؤرّخو الفرق ويقصد بهم أبو الحسن الأشعري والبغدادي وابن حزم والشهرستاني، وعند حديثه عن الإباضية زجّ بهم تحت هذا المسمى دون أدنى تحقيق أو تثبت أو تحرّ في هذه التهمة الباطلة رغم أنه من المتأخرين، فقال عنهم: "وأما الإباضية وهم إحدى الفرق الأصلية عند الأشعري – ويقصد إحدى الفرق الأصلية من فرق الخوارج– فينسبون لرئيسهم عبد الله بن إباض فإن فروعهم الحفصية وإمامهم حفص بن أبي المقدام، واليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسة والحارثية أصحاب حارث الإباضي ومنهم من يسمون "أصحاب طاعة لا يراد بها وجه الله" ومنهم الواقفية ومن الواقفية الضحاكية .... "[23] والملفت للنظر أن هذه الطوائف والأسماء ما عدا عبد الله بن إباض التي ذُكرت منذ عهد أبي الحسن الأشعري لا يعترف الإباضية بانتسابهم إليها، بل يقولون إن هذه الأسماء مجهولة في تاريخهم، ومن أراد أن يعرف أو يتعرف على من ينتسبون إليه فليقرؤوا كتبهم ومصادرهم المنتشرة في كل أصقاع العالم.

ولذلك قال فيه الشيخ علي يحيى معمر معاتبا: " وأنا أعتذر عن الأستاذ الغوابي بما يشبه اعتذاره عن الإباضية، فهو ولا شك مخلص في دعوته، محبٌّ لجمع كلمة المسلمين جميعا، مقدّر لهم في كل فرقهم، معتزّ بهم ... وإنما وقع في عدد من الانزلاقات بسبب جهله بحقيقة تاريخهم وجهله بحقيقة مقالاتهم وجهله بالفروق الحقيقية بين المذاهب التي تحدث عنها ونسبها إلى الخوارج"[24].

ب–أبو زهرة:

هو محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة ولد سنة 1898م وتوفي سنة 1974م، عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين، له مؤلفات كثيرة في مجالات متنوعة أبرزها كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية[25].

وبقيت فكرة الخوارج مترسخة في الكتب الحديثة ولم تفك العقدة التي لازمت كتب المؤرخين غير الإباضية حتى مع المحدثين، ورغم أن الشيخ أبا زهرة قال كلاما جميلا عن فقه الإباضية إلا أنه قال: "وقد أثر عن مذهب الخوارج "فقه الإباضية" وهو فقه عميق دقيق يقارب فقه المذاهب الأربعة في أكثر الأحوال"[26].

---

[23] الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ص267–268

[24] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص95.

[25] تُنظر ترجمته في موسوعة ويكيبيديا.

[26] أبو زهرة، الإمام محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، الكتاب الأول في السياسة والعقائد، ص 29.

وقال عن الإباضية أيضا: "هم أتباع عبد الله بن إباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيرا فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولذلك بقوا، ولهم فقه جيد، وفيهم علماء ممتازون، ويقيم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الغربية وبعض آخر في بلاد الزنجبار، ولهم آراء فقهية، وقد اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم وذلك في الميراث بولاء العتاقة، فإن القانون المصري أخره عن كل الورثة حتى عن الرد على أحد الزوجين، مع أن المذاهب الأربعة كلها تجعله عقب العصبة النسبية، ويسبق الرد على أصحاب الفروض الأقارب"[27].

وقال في رده على أبي زهرة قال الشيخ علي يحيى معمر: "وإذا عتبت عليه في النقاط السابقة فإنما هو موقف المتعلم الجسور الصريح مع الغزير المادة الواسع الاطلاع المنفسح الصدر الحليم الذي يحتمل شغب المتعلمين بصدر رحب"[28].

ت-شيبة الحمد:

هو عبد القادر شيبة الحمد فقيه سعودي ولد في مصر سنة 1921م، له عدة مؤلفات أبرزها ما كتبه عن الفرق الإسلامية بعنوان: "الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة" وهو عبارة عن مذكرة تقدّم نبذة عن الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة كتبها مؤلفها وفق المنهج المقرر على طلاب الشهادة العالية بكليتي الشريعة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتوخى فيها سهولة الأسلوب ووضوح القصد كما ورد ذلك في مقدمة الكتاب نفسه[29].

وفي تعريفه للإباضية يقول شيبة الحمد في كتابه: "هم أتباع عبد الله بن إباض المري التميمي الذي صحب نافع بن الأزرق إلى البصرة حينما تفرق الخوارج عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه"[30].

وعند الرجوع إلى ما كتبه الشيخ علي يحيى معمر عن شيبة الحمد الذي كان يلقي دروسا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نرى أن الشيخ لام وعاتب بشدة الأستاذ شيبة الحمد لما كان يتصف به من جرأة في مواجهة الحق فقال: "وهذا النقد الأخوي لا نرسله إليه فقد ثبت مما قصّه علينا طلابه ومن بعض المواقف مع غيرهم أنه يملك من الجرأة ما يحول بينه وبين الرجوع إلى الحق، وإنما نوجه كلمة العتب الأخوي أو الالتماس الأخوي إلى إدارة الجامعة العامرة ورئيسها الوقور وأساتذتها العظام"[31].

---

[27] تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ص73 -74.

[28] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص95.

[29] تُنظر ترجمته في الموقع الرسمي للشيخ عبد القادر شيبة الحمد وموسوعة ويكيبيديا.

[30] شيبة الحمد، عبد القادر، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ط4، 1433هـ، ص200.

[31] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص117.

ث-يحيى هويدي:

لم نعثر له على ترجمة واضحة لكن يبدو أنه من المؤرخين الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية مركّزا على الفلسفة وعلم الكلام ومعرّجا على نشأة المذهب الإباضي خاصة في كتابه "دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية"[32]، فالذي يقرأ هذا الكتاب وخاصة فيما يتعلق بالفرق الإسلامية يستغرب أشد الاستغراب كيف أن الدكتور ساق تاريخ الخوارج واعتبرهم في زمرة واحدة ومن بينهم أتباع عبد الله بن وهب الراسبي وهو لا يدقق في الرجال ومنحاهم التاريخي والفلسفي في التعامل مع قضايا السياسة وخلط بين عقيدة الإباضية وعقيدة الأزارقة في بعض المسائل[33].

فعلا أمر محيّر أن ينحو المؤرخون المعاصرون منحى المؤرخين القدامى ويرتكبون الخطأ نفسه في سرد الأحداث التاريخية دون أن يكلفوا أنفسهم مشاق الرجوع إلى مصادر الإباضية ومضانهم التاريخية، والتحقق من الفوارق ونقاط التوافق في المواقف السياسية والعقدية بينهم وبين فرق الخوارج، وتحديد مصطلح الخروج ومعانيه المتعددة وتصنيف كل الأحداث الجارية منذ عهد عثمان بن عفان إلى حين ظهور الفرق الإسلامية وفق ما يحددونه من معاني الخروج.

وقد تنبه له الشيخ علي يحيى معمر واستغرب كيف لمؤرخ مسلم معاصر ينقل تاريخ فرقة معينة مثل الإباضية من مؤرخ مستشرق عُرف بتحريفه وتزييفه للحقائق، ويقتصر عمله على ترجمة النص الغربي إلى لغته العربية حتى غدا نصًّا مجردًا من أي قيمة علمية، عندما سار المستغرب معتزا بتبعيته للمستشرقين فقال معاتبا إياه: "إن الكاتب المسلم المستغرب المعتز بتبعيته للمستشرقين لا يخلو من أحد أمرين: إما أنه يعتمد على ما يكتبه المستشرقون في القضايا الإسلامية اعتمادًا كليًّا وهو يترفع أن يرجع إلى المصادر الإسلامية، وإما أنه يعرف ذلك ويطلع عليه ولكنه يرى أن استناده على فيلسوف غربي أرفع لقدره وأعظم لعلمه وأفيد لكتاباته"[34].

ويقول الشيخ أيضا: "إنك تستشعر الغربة فعلا فتحسّ بأن من كتب ذلك هو غريب عن الموضوع وليت أنك تحس بهذا الإحساس وأنت تقرأ له عن الفرق التي سخط عليها فقط، لكن الواقع المؤلم أنك تجد هذا في جميع أجزاء الكتاب (تاريخ الفلسفة الإسلامية) حتى وهو يكتب عن الإسلام السني الذي يريد أن يظهر بمظهر المتمسك به المدافع عنه"[35].

---

[32] اسم الكتاب "دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية" استقيته من الانترنت.

[33] هويدي، يحيى، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، المكتبة المدنية، الطبعة الثالثة، 2002، ص90-91

[34] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص145.

[35] المصدر السابق ج1 ص 152.

ج-عز الدين التنوخي:

هو أديب وكاتب صحفي سوري وباحث وشاعر ومحقق، ولد سنة 1889م وتوفي بدمشق سنة 1966م، كتب كثيرًا من الكُتُب والمقالات والأبحاث والقصائد في المجالات العلمية واللغوية والأدبية[36].

وقد كان الأستاذ عز الدين التنوخي من أكثر الباحثين اعتدالا حيث حقق الكثير من الكتب الإباضية وعلق على الكثير منها الأدبية والفقهية، مثل تعليقه على شرح المسند، ولكنه لم ينف صفة الخارجية عن المذهب الإباضي حيث قال: "فالإباضية اليوم بعُمان والمغرب من بقيَا من الخوارج المعتدلين والمتمسكين بالكتاب والسنة" [37].

فالتنوخي كان من بين المؤرخين الذين نادوا بضرورة الرجوع إلى مصادر الإباضية للتعرف على عقائدها وأفكارها وفقهها لذلك نجد الشيخ علي يحيى معمر يثني عليه ويعتبر المنهج الذي سلكه في الحديث عن الإباضية هو المنهج السليم الذي يتصف بالنزاهة والتجرد من العاطفة والتحلي بالصدق والأمانة والاعتماد على كتبهم ومراجعهم وعلمائهم[38].

3- كُتّاب المقالات المستشرقون:

وهم الكُتّاب الغربيون الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية وعن الشرق الأوسط عموما وتوسّعت كتاباتهم عنهم، ولهم أجنداتهم ودسائسهم الخاصة، كشف عن بعضهم الشيخ علي يحيى معمر حينما تحدّث عن أهدافهم في تدوين التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ الفرق خصوصا لذلك تغيرت أساليب الشيخ في التعامل معهم من خلال فضح مؤامراتهم والتحذير من الوقوع في شباكهم، فهم أذكياء في صناعة الفخّ والحَوْمِ حول حمى المكر والخداع. ولذلك قال الشيخ علي يحيى معمر عنهم: "وفرضت على أساليبهم أن أغيّر منهجي الذي كنت وضعته لمناقشة هذه البحوث"[39] نذكر منهم:

أ- جوتييه:

هو إيميل فيليكس جوتييه ولد سنة 1864م وتوفي سنة 1940م جغرافي ومستشرق فرنسي، تخصص في تاريخ وجغرافيا المغرب. وقد أتى الشيخ علي يحيى معمر بهذه الشخصية لما تتوفر فيه من صفات التبجح بآرائه المسمومة جهرا وعلانية وأفكاره التهجمية والهمجية من خلال كتابه (ماضي شمال إفريقيا) وما جاء فيه من

[36] تُنظر ترجمته في مجمع اللغة العربية بدمشق. وموسوعة ويكيبيديا.

[37] السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، الناشر: سعود بن حمد بن نور الدين السالمي، مقدمة عز الدين التنوخي، ص (م).

[38] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص180.

[39] المصدر السابق ج1 ص 191.

دسائس وأوهام موضحا فسادها وبطلانها، معتمدا في ذلك على أدلة تاريخية قارعة تكشف مدى تمرد جوتييه على سكان شمال أفريقيا، وتماديه في الخطأ عمدًا وعدوانًا.

وأثناء حديث جوتييه عن الفرقة الإباضية يؤكد الشيخ علي يحيى معمر على النزعة الاستعمارية الحاقدة التي صحبت هذا المستشرق بعد تأليفه الكتاب الذي أشرتُ إليه سابقا إذ يقول: "وينقسم خوارج المغرب إلى فرقتين: الصفرية والإباضية، وتمثل الصفرية التطرف والإباضية الاعتدال وهم أشبه بالبلاشفة والمناشفة تباعد بينهم كراهية عميقة الجذور. ويقول معلّلًا على نجاح الدولة الرستمية: "وراء مملكة تاهرت شخصية مشرقة مرموقة كما هو حال المملكة الإدريسية والأسرة الفاطمية إنه عبد الرحمن بن رستم يرجع أصله إلى رستم الشهير الذي قاد الجيش الفارسي في معركة القادسية وهو فارس من أحفاد كسرى، ولا غرابة أن شاهدناه على رأس فئة من الهراطقة في الوقت الذي ازداد فيه النفوذ الفارسي زمن العباسيين"[40].

ب-كارلو ألفونسو نلينو:

هو كارلو ألفونسو نَلِّينُو ولد سنة 1872م وتوفي سنة 1938م، مستشرقٌ إيطاليٌّ، وُلِدَ في مدينة تُورينو الإيطاليَّة، لغويٌّ وفلكيٌّ ومؤرِّخٌ وجغرافيٌّ، له اهتمامٌ واسعٌ بالدِّراسات العربيَّة، ولاسيَّما اللُّغة العربيَّة وعلم الفلك العربيِّ، والمذاهب الدِّينية الإسلاميَّة[41].

وقد عاب الشيخ علي يحيى معمر عليه لأنه ذكر أن الإباضية تأثروا بالمنهج المعتزلي واقتبسوا آراءهم وأفكارهم، فقد ورد أن المستشرق الإيطالي نلينو لاحظ في كتاب (العقيدة الإباضية) الذي كتبه عمرو بن جميع أوجه شبه كبيرة بين عقيدة الإباضية وبين فكر المعتزلة، فهو لئن رجع إلى المصادر الإباضية كعقيدة التوحيد لعمرو بن جميع، وأصول الديانات للشيخ الشماخي إلا أنه لم يكن موضوعيًّا في دراسته تلك، ذلك لأنه انطلق من فرضية خاطئة ومغلوطة وهي تأثر الإباضية بالمعتزلة فاقتبسوا آراءهم وأفكارهم وفي هذا تجنٍّ على الفرقة الإباضية كما لا يخفى على ذي لب[42].

وقد أخضع الشيخ علي يحيى معمر هذه الفرضية لمجهر التمحيص والتدقيق، وبين فظاعة هذا التحامل ثم ناقشه في هذه القضية، وحلّل جوانبها بالاعتماد على الدليل والحجة والبرهان. وتوصل إلى أن هذا النوع من

---

[40] جوتييه، أ.ف، ماضي شمال إفريقيا، تعريب هاشم الحسيني، الناشر الفرجاني، ص. ب 132 طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى 1970ص 224.

[41] تُنظر ترجمته في: موسوعة ويكيبيديا وموسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، تموز/ يوليو 1993، ص583-587.

[42] انظر ما كتبه نلينو، كارلو ألفونسو، بحوث في المعتزلة وخلق القرآن، ترجمة وتقديم د. عبد الرحمن بدوي، دار ومكتبة بيبليون باريس، 2019 ص ص 204-208.

المستشرقين يملك من الدهاء ما يستطيع معه أن يدس إلى قارئيه ما يريد من الأفكار دون أن يثير فيهم حاسة الانتباه، وغريزة رد الفعل، فهم يظهرون التزامهم بالمنهج العلمي الحديث ويبطنون وسائلهم المخدرة للشعوب[43].

المبحث الثاني: محاور النقد والنقاش بين الشيخ وكُتّاب المقالات:

حدّد الشيخ علي يحيى معمر من البداية البواعث التي دفعته للكتابة عن المذهب الإباضي باعتباره أولى الفرق الإسلامية نشأة حسب السياق التاريخي بعد أن رأى أن فرقته قد تعرّضت للتشويه من المؤرّخين القدامى والمحدثين وحتى المستشرقين، وظلت تُهمة الخارجية تلاحق المذهب الإباضي قرونا من الزمن دون تغيير، وبعد أن رأى فرقته تعبث بها أيدي المؤرخين والمحرّفين رغم صحة ما تدين به، وصواب ما تعتقده، أراد أن يدافع عنها ويبرز للعالم الإسلامي وجهها الحقيقي المعتدل.

ولم يسلم الشيخ علي يحيى معمر نفسه من اتهامه بالتعصّب لمذهبه وهو يكتب عنه ويؤلف كتبا لبيان حقيقته، فقد قال الدكتور عوض خليفات مثلا معلقا على كتابه "الإباضية في موكب التاريخ" قائلا: "ولا يخلو كتابه من تعصّب واضح لفرقته رغم أنه لم يحاول الإساءة إلى الفرق الإسلامية"[44].

وتفطّن الشيخ لهذا العتاب فاستبقه بردّ قال فيه: "قد يرى بعض القرّاء الكرام في هذا العمل الضئيل الذي قدّمته للمكتبة الإسلامية الغنية دعوةً إلى مذهب معيّن أو دفاعًا حارًّا عنه كما قال بعض الأصدقاء، وأنا أبادر فأقول: أما حرارة الدفاع فإنني أدافع بما أملك من حرارة عما اعتقدته حقًّا وذلك من أجل الحقّ لا من أجل المذهب لأن الدّفاع عن الحقّ سواء اصطبغ بنظرة مذهبية أو تجرّد عنها هو الواجب الذي يتحتم القيام به على كل مسلم"[45].

كما أن سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي علّق على هذه النقطة بقوله: "فإن كانت كتاباته – الشيخ علي يحيى معمر – تتجلّى فيها العاطفة من غير أن يكون ذلك على حساب العقل تجاه هذه المدرسة فلا يعني أنه متحيز معها، وأنه فقد الموضوعية في كتاباته وإلا فليأت من قال بذلك يثبت أن الشيخ علي يحيى معمر – رحمه الله– في أمر ما لم يكن واقعًا أن يثبت وقوعه أو في الأمر واقع أن ينكر وقوعه إلا من كان متحيزا إلى الحقيقة، والمسلم مهما يكن فهو على الفطرة ويستمسك بطبيعتها، ومن شأن الإنسان الذي فطره الله سبحانه وتعالى على العقل والعاطفة أن لا يبخس كل واحد من الاثنين حقّه، فهو لا يبخس حق العقل من أجل العاطفة ولا يبخس حقّ العاطفة من أجل العقل"[46].

---

[43] ينظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ص127.

[44] خليفات، عوض محمد، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، عمّان، الأردن، 1978م، ص41.

[45] معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان، ط2، ص123.

[46] مقابلة أجريتها سابقا مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العالم لسلطنة عمان يوم 13 جمادى الآخرة 1417هـ الموافق لـ 26 أكتوبر 1996م بجامع السلطان قابوس بروي.

ومن هذا المنطلق جاءت كتابات الشيخ علي يحيى معمر في هذا الإطار لتوضح ما كان مُبهمًا، وتبيّن ما كان مستشكَلا، وتحدّد بعض المفاهيم التي كانت مغلوطة، وردًّا على كتابات مُسيئة للمذهب الإباضي منذ القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، وتضع الجميع أمام مسؤولية تاريخية للارتقاء عن الشبهات والبُعد عن الاتهام جزافا دون تثبّت وتحرٍّ وتحقيقٍ في المسائل الخلافية المتعلقة بالتاريخ الإسلامي وتحليلها تحليلا موضوعيا.

ولذلك اختصرت محاور النقاش والخلاف بين الشيخ علي يحيى معمر وكُتّاب المقالات في هذه المحاور الثلاثة:

1- الاختلاف في مفهوم الخوارج:

كلمة "الخوارج" كلمة أربكت أذهان الناس قديما وحديثا وحيّرت عقولهم ومزّقت شتاتهم وأرهقت جمًّا غفيرا من المؤرخين والمفكرين وبلبلت أفكار الباحثين وطلبة العلم الشريف وجاءت بمعان متعددة:

أ-لغويًّا:

منها البروز والظهور: يقال خرج من مقره: برز منه وانفصل ومنها القضاء: خرج فلان من دينه: قضاه ومنها خرج على السلطان: تمرد وثار ومنها خرج فلان في العلم أو الصناعة: نبغ فيهما ونقول: خرج رجل على سلطان أو رأي فهو خارجي وجمعه خوارج[47].

ب-فقهيًّا ومنطقيًّا:

اضطربت كلمة الفقهاء والعلماء في تحديد معنى كلمة الخوارج وما تدل عليه:

1- فقد أطلقها بعض المؤرخين على أولئك الناس الذين اعتزلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما قبل بالتحكيم ورضي به في معركة صفين.

2- وأطلقها بعض المتكلّمين في أصول الدين ويقصدون بها الخروج من الدين استنادا إلى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من طريق أبي سعيد الخدري: "يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق"[48].

[47] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة خرج.

[48] رواه الإمام الربيع في باب طلب العلم لغير الله عز وجل وعلماء السوء رقم 36، وأحمد بن حنبل ج6 ص5، والبخاري في كتاب فضائل القرآن 36 وابن ماجة في المقدمة ومالك في الموطأ قرآن 10.

3- وأطلقها فريق ثالث وأرادوا بها الخروج إلى الجهاد في سبيل الله استنادا إلى قوله تعالى: "وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ"[49].

ث-تاريخيًّا:

رأى الشيخ علي يحيى معمر أن معنى الخروج الذي ذهب إليه المؤرخون وكُتّاب المقالات السابقين الذين ذكرناهم والذين اتبعوا نهجهم في توصيف المذهب الإباضي قد تكرّر في التاريخ الإسلامي أربع مرات قبل اعتزال المحكّمة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

1- المرة الأولى كانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما ارتد بعض من انتسب إلى الإسلام، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم وامتنع البعض الآخر عن أداء فريضة الزكاة بدعوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات ولا حاجة تقتضي أداء هذه الفريضة.

2- المرة الثانية كانت في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان عندما ثارت عليه مجموعة وقتلته بسبب مخالفته نصائح الصحابة عندما ولّى أقرباءه السلطة رغم عدم كفاءة بعضهم، وأعتقد أن قتل الإمام عثمان بن عفان أبشع وأشنع من مجرد الخروج عنه ذلك لأن فيه هدرا للدم وفتحا لباب فتنة فتكت بالأمة الإسلامية كثيرا.

3- المرة الثالثة عندما ثار طلحة والزبير ومن تبعهما على علي بن أبي طالب الخليفة الشرعي آنذاك، فكانت واقعة الجمل التي حصدت عددا غير قليل من المسلمين من بينهم طلحة والزبير وهما صحابيان معروفان.

4- المرة الرابعة بعد اغتيال الخليفة عثمان بن عفان وانتصار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على ثورة طلحة والزبير، ظهر من يطالب بدم عثمان ويريد أخذ الثأر قبل تعيين خليفة على المسلمين، وذكرت كتب التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ مقتل عثمان بن عفان ذريعة للوصول إلى الحكم ويجمع الناس حوله لأنه يعلم يقينا أن عليًّا لا يوافق على أن يكون معاوية خليفة على المسلمين وربما يُقدم على عزله.

فالموافق يرى أنه لا بأس بالتحكيم ما دام قد رضي الطرفان حقنًا للدماء، أما المخالف فيرى أنها خدعة وحيلة لا ينبغي الركون إليها بل ينبغي مواصلة الحرب ضد الفرقة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، لأن هذا الفريق يرى أن معاوية بن أبي سفيان تمرّد على الخليفة علي الذي وافقت عليه الأغلبية ليكون خليفة لعثمان، لكن معاوية استخدم ذريعة المطالبة بدم عثمان ثم التحكيم وسيلة للسيطرة على الحكم وتحويله من بني هاشم إلى بني أمية.

[49] سورة النساء الآية رقم 100.

5- ثم تأتي المرحلة الخامسة وهي خروج فئة عن علي بن أبي طالب بعد معركة صفين لاعتراضها على وقف الحرب ضد معاوية بن أبي سفيان بدعوى التحكيم، ورأت مواصلة القتال حتى تفيء الفئة الباغية (وهي معاوية وجيشه) إلى أمر الله.

وبعد دراسة المواقف التاريخية المشابهة لحالة الخروج عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يتبين لدينا ما يلي:

- الحيف والظلم الكبير الذي وقع فيه المؤرخون القدامى والمعاصرون وحتى ربما المستشرقون حينما قصروا لفظ الخروج على الفئة التي خرجت عن علي في معركة صفين دون غيرها من الفئات التي ذكرناها آنفا.
- بنى الآخرون حديث الفرقة الناجية على هذا الأساس، حيث اعتبر الأشعري ومن بعده أن الفرقة الناجية إنما تنطبق فقط على أهل السنة والجماعة دون غيرهم من الفرق الإسلامية التي تدين بدين الإسلام مثل الإباضية، والشيعة، والمعتزلة، وغيرها.

وقد بيّن الشيخ علي يحيى معمر أن الفرقة الناجية هي التي انقادت لحكم الله تبارك وتعالى واقتدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلته أسوة ونورا يستضاء به في عقيدتها وفكرها وسلوكها، وعلى هذا فمن العجيب أن يدّعي أهل السنة والجماعة بأنهم يمثلون الفرقة الناجية أو يدعي الإباضية أنهم يمثلون وحدهم الفرقة الناجية لأن هناك العوام من المسلمين الذين لا يفقهون شيئا من مسائل الكلام الخلافية فهل سنحشرهم ضمن الفرق الهالكة وهم يؤمنون بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا؟

لذلك يقول الشيخ في هذه المسألة:" إن العامي من الأشاعرة، أو الإباضية، أو المعتزلة، أو غيرهم لا يخطر له مطلقا أن يبحث مشكلة القدر فهو مؤمن بطبعه ألا يقع في الكون إلا ما يريده الله، والعامي من هذه المذاهب وغيرها لا يفهم ماذا تعني كلمات الذات والصفات؟، وهل الصفات عين الذات؟ إلى آخر ما هنالك من المباحث التي تحتاج إلى كثير من الذكاء والعلم.

فهل جميع هؤلاء المسلمين الذين ينتسبون إلى مختلف الفرق وهم يؤمنون بربهم ويعملون صالحا يكونون من أصحاب النار؟ لأن ظاهر الحديث يقسّم المسلمين إلى ثلاث وسبعين فرقة تلقى اثنتان وسبعون منها في النار"[50].

هذه هي نظرة الشيخ علي يحيى معمر إلى الفرقة الناجية وهي نظرة تتسم بالشمولية والواقعية وتلك هي مميزات الدين الإسلامي.

[50] الإباضية في موكب التاريخ المجلد الأول الحلقة الأولى ص 43-44.

• المفهوم السياسي لمعنى الخلافة كان محور خلاف بين المذاهب الإسلامية، ولأن الإباضية وافقت الخوارج والمعتزلة في عدم اشتراط القرشية في الحاكم، اتخذها المخالفون ذريعة لوسْمِ الإباضية بالخوارج دون تدقيق في التفاصيل المتعلقة بالشروط الواجب توافرها في الحاكم.

فمسألة الخلافة مسألة خاض فيها العلماء والمؤرخون منذ عهد مبكر، وبدأ النزاع فيها منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة يبحثون فيمن توافرت فيه شروط الخلافة على أمور المسلمين، ثم استقر الأمر بانتخاب أبي بكر رضي الله عنه خليفة على المسلمين، ودبّ الأمن طوال فترة الخلفاء الراشدين إلى أن وقعت حادثة صفين نتيجة لمطالبة معاوية بن أبي سفيان بدم عثمان فظهر النزاع بينه وبين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ومن هنا بدأت نظرة المسلمين إلى الخلافة تختلف من شخص إلى آخر، فذهبت الشيعة إلى أن الخلافة تنحصر في أبناء علي وأبناء فاطمة ولا تكون لغيرهم ولو كان كفؤا[51] وذهب جمهور المذاهب الأخرى إلى اشتراط القرشية وعدم تقديم الكفاءة عليها بمعنى أن الخلافة تؤول إلى القرشي قبل الكفء غير القرشي[52].

أما الإباضية والخوارج فذهبوا إلى عدم اشتراطها وقدموا ميزانا آخر أكثر دقة هو ميزان الكفاءة.

وبناء على ذلك فقد رضي أصحاب المذاهب الأربعة بخلافة معاوية وسخطوا على خلافة عبد الله بن وهب الراسبي، ولم يرض الإباضية بخلافة معاوية لاحتياله ودهائه وعدم توافر شروط الخلافة في شخصه وعدم انتخابه من قبل أهل الحلّ والعقد ورضوا بإمامة عبد الله بن وهب الراسبي لأنهم رأوا أن المجتمع لا يسوده العدل إلا بعد تنصيب خليفة عليهم يتولى أمورهم. ومن هذا المنطلق لم يكن خروج أصحاب عبد الله بن وهب الراسبي عن علي بن أبي طالب خروجا دينيا، وإنما كان سبب الاعتزال تعارض آرائهم في مسألة الخلافة، ولقد كان مسلك الإباضية واضحا منذ البداية حيث قرروا شروطا يجب مراعاتها عند اختيار الخليفة الشرعي[53].

وربما اعتقد بعض المؤرخين القدامى أن التوافق الذي حصل بين الإباضية والخوارج في مسألة اعتزال علي بعد قبوله التحكيم وعدم اشتراط القرشية فيمن يتولى أمور المسلمين قد يجعل كلا الطائفتين مذهبا واحدا، لكن

---

[51] ينظر في: الصنعاني، الحسين بن أحمد بن الحسين، شرف الدين، الروض النضير، شرح مجموعة الفقه الكبير، الطبعة الأولى سنة 1349هـ، مطبعة السعادة، مصر، المجلد الرابع ص13.

[52] ينظر في: ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، ج2 ص584.

[53] لمزيد التفاصيل ينظر في: جهلان، عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب– سلطنة عمان، ص 100. و بن جميع، عمرو، مقدمة التوحيد وشروحها، صححها وعلق عليها أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مسقط – سلطنة عُمان، الناشر: دار الحكمة، لندن، الطبعة الثانية، 1436–2016م ص69–74.

الشيخ علي يحيى معمر – رحمه الله– دحض هذه الفرضية لأنها غير مطردة وغير منضبطة ذلك إذا اعتبرنا هذا الرأي صائبا فإنه يلزم ضم فرقة الأشاعرة إلى المعتزلة لأن كليهما يقول بتنزيه المولى عز وجل، كما يجعل الشيعة والمعتزلة فرقة واحدة لأنهما يشتركان في نظرية حصر الخلافة في البيت الهاشمي، ويجعل الإباضية والمعتزلة والأشاعرة فرقة واحدة لاشتراك الإباضية والمعتزلة في مسألة الصفات واشتراك الإباضية والأشاعرة في مسألة القدر. ثم إن القول الذي تبناه الإباضية والخوارج قد قال به بعض الصحابة الأجلاء الذين لم يشتركوا في حرب صفين مثل عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وبعض التابعين مثل جابر بن زيد والحسن البصري فهل نحكم على كل هؤلاء بالخارجية؟[54].

2– من هم الخوارج عند الإباضية؟

ذهب الإباضية إلى أن لفظة الخوارج لا تُطلق إلا بمعنى واحد وهو الخروج عن الإسلام وذلك إما بإنكار الثابت القطعي من أحكامه أو بالعمل بما يخالف المقطوع به من نصوص أحكام الإسلام وهذا المعنى لا ينطبق إلا على نافع بن الأزرق وأصحابه الذين تطرفوا في الأحكام وحكموا على مرتكب الكبيرة بالشرك مستدلين بقوله تعالى: "وإن أطعتموهم إنكم لمشركون"[55] ومن ثم استباحوا دماء المسلمين المخالفين لهم وأموالهم وسبي ذراريهم. إن هذا الاسم الذي أطلقه المؤرخون القدامى لا علاقة له بالثورة أو بالخروج عن أي إمام ولا يطلق على أولئك الذين اعتزلوا علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم وإنما يُطلق على كل من ردّ أحكام الله تعنّتا وجحودا ولم يلتزم بما أمر الله به ومن ثم يكونون خوارج بالعقيدة والعمل لا بالثورة، لأن الخوارج ما سُمّوا بهذا الاسم إلا لكونهم قد خرجوا من الملة لا لخروجهم عن علي، فإنه يستحيل إطلاق ذلك عليهم وإلا سوف نتهم قتلة عثمان وطلحة والزبير وأتباعهما، ومعاوية وجيشه وابن فندين ومن أنكر إمامة عبد الوهاب بأنهم خوارج وهذا محال.[56]

ويؤيد هذا الرأي ما ذكره الشيخ علي يحيى معمر من قول أبي إسحاق اطفيش رحمه الله: "الخوارج طوائف من الناس من زمن التابعين رؤوسهم نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وعبد الله بن صفار ومن شايعهم، وسُمّوا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق وعن الأئمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك، فاستحلوا ما حرّم الله من الدماء والأموال بالمعصية متأولين قوله تعالى: "وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ"[57] فزعموا أن معنى الآية وإن أطعتموهم في استحلال الميتة، والاستحلال لما حرم الله شرك"[58].

---

[54] الإباضية في موكب التاريخ المجلد الأول الحلقة الأولى ص37.

[55] سورة الانعام الآية 121.

[56] انظر الإباضية في موكب التاريخ المجلد الأول الحلقة الأولى ص 33–34.

[57] سورة الانعام الآية رقم 121.

[58] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص276.

3- الإباضية مذهب إسلامي معتدل:

بعد تنقيب في الكتب وإمعان وتعمق في البحث وشبه استقصاء للأحداث التاريخية والصور البطولية توصل الشيخ علي يحيى معمر إلى نتيجة ذات أهمية كبيرة تتمثل في أن الإباضية اتبعوا المنهج الصحيح والسبيل القويم الذي رسمه الشرع لهم، وتبين له كذلك أنهم جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة لهم فنهجوا سبيله وسلكوا طريقه وتخلقوا بأخلاقه واستنوا بسنته.

إذ يقول في مقدمة كتابه "الإباضية في موكب التاريخ": "وعلى ذلك الإسلام الحق لا تزال هذه الطائفة التي سمّاها التاريخ فرقة إباضية وأصرّ أن يجعل لهم إماما كما لغيرهم من الفرق أئمة، ولو أن إمامهم الحق الذي لا يهتدون بغير هديه ولا يقلدون سواه إنما هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره حق الإمامة إلا بالأسوة الحسنة والتتبع للسنة الحميدة القويمة والإيمان المطلق بأن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الهدي الذي أمر الله أمة محمد أن يكونوا عليه"[59].

لكن السؤال الذي يطرحه الكثير هو ما الذي دفع الشيخ علي يحيى معمر إلى الحكم على هذه الطائفة الإباضية بأنها تتبع الإسلام الحق؟

حتى نجيب على هذا السؤال لا بد أن نعرف أو نتعرف على المقياس الذي حدّده الشيخ علي يحيى معمر للتمييز بين الفرق وبيان أيُّها أقرب إلى الصواب وأبعد عن الحق، فرأى أن الميزان الذي يجب أن توزن به عقائد فرقة معينة هو الميزان الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي"[60].

فبيّن الشيخ أن المذهب الإباضي اقتبس أصوله العقدية من الرعيل الأول الذي شاهد الوحي ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظب على سنته الشريفة، واستلهم منه نور الإسلام ومكارم الأخلاق فكانت نشأته تتزامن مع فترة الصحابة الأجلاء الذين سخّروا أنفسهم للدعوة إلى الحق وتعليم الناس أمور دينهم.

وقد كان الإمام جابر بن زيد رضي الله عنه رائد المذهب وقائدُه في تلك الحقبة الزمنية ملازما أستاذه الأول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكثيرا من الصحابة العظام أمثال عائشة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم وأخذ منهم العلم والعقيدة والفقه والأخلاق أهّلته أن يكون بعد ذلك عالمًا

[59] الإباضية في موكب التاريخ المجلد الأول الحلقة الأولى ص6.

[60] رواه الحاكم في المستدرك ج1 ص93، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج2 ص24 والمتقي الهندي في كنز العمال رقم 876.

مجتهدًا ومفتيًا بارزًا ومناظرًا بارعًا حتى شهد له حبر الأمة وبحر العلم بسعة علمه وغزارته حيث قال فيه عندما سئل عن مسائل: "اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه"[61].

وقال فيه أنس بن مالك لما بلغه وفاته: "مات أعلم من على ظهر الأرض"[62].

كما شهد جميع فقهاء عصره ومحدّثيهم وعلمائهم بثقته وغزارة علمه وتقواه، ورغم أنه تعرض لمضايقات شديدة من الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق آنذاك إلا أنه استطاع أن يكوّن مدرسة خاصّة به تُعنى بحفظ الأحاديث التي رواها عن الصحابة الكرام، وحفظ آرائه في العقيدة والفقه وغيرهما، رائدُها ورئيسُها الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي علِم من واقع خبرته كيف يواجه السياسة الأموية المستبدّة ويكسر الحاجز الذي حال دون تحقيق أماني سياسييها من خلال فكرة صناعة القفاف في الغار.

فكان رضي الله عنه عاكفا على مجالس شيخه الإمام جابر وتلقى منه أغلب الأحاديث التي دوّنها تلميذه بعد ذلك الإمام الربيع بن حبيب وجمعها في مسنده المشهور بمسند الإمام الربيع بن حبيب، فأصبح الإمام أبو عبيدة عالمًا وسياسيًّا محنَّكا ومعلّمًا ناجحًا، تخرّج على يديه كبار الأئمة الإباضية أو ما يسمّون بـ (حملة العلم) أمثال عبد الرحمن بن رستم وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وطالب الحق الإمام عبد الله بن يحيى الحضرمي وغيرهم.

كل ذلك يحدث في عصر لم تنشأ فيه المذاهب الإسلامية كلها، لأنه عصر الصحابة والتابعين الذين يمثلون رسول الله صلى الله عليه وسلم في عقيدته وأقواله وأفعاله، ليكون المذهب الإباضي أول المذاهب نشوءًا واحتكاكا بعصر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن ثم فهو يستمد قوته من الإسلام نظيفا من البدعة، بعيدًا عن التطرف والجهل، نابذًا الجمود والركود، فهو مذهب يمثل الإسلام الصحيح ويقتفي آثار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ومنذ ذلك الوقت انتشر المذهب في الجزيرة العربية وطار إلى شمال افريقيا، فيقول الشيخ علي يحيى معمر: "وقد استقر الإباضية على كثير من القواعد والآراء في أصول الدين قبل أن تنشأ مذاهب الأشاعرة وقبل أن ينفصل واصل بن عطاء عن أستاذه الحسن البصري فتكون من ذلك فرقة المعتزلة، وكل ما كان موجودا حينئذ من الطوائف الإسلامية إنما هم بعض فرق الشيعة وبعض فرق الخوارج وأهل السنة والجماعة"[63].

[61] الدرجيني، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي ج2 ص 205.

[62] طبقات المشائخ بالمغرب ج1 ص 205.

[63] الإباضية في موكب التاريخ المجلد الأول الحلقة الأولى ص135.

المبحث الثالث: المنهج التاريخي في نقد كُتّاب المقالات:

اتبع الشيخ علي يحيى معمر المنهج التاريخي في نقده كُتّاب المقالات، وهو منهج علمي دقيق له أثره في واقع النقد من الالتزام بالموضوعية والدقة في تتبع الأحداث التاريخية وتمحيصها وبيان الغث من السمين منها بعد النظر فيها بعمق المحلل الاستنباطي الاستقرائي لمعرفة قواعد السياسة وطبائع الموجودات والجغرافيا والاجتماع وضرورة التمييز بامتلاك القدرة على المقارنة بين أحوال الحاضر وأحداث الماضي على ما بينها من تشابه أو تناقض ومعرفة أسباب نشوء الدولة ومظاهرها، فالباحث في التاريخ عند ابن خلدون يجب أن يكون عالم اجتماع ومؤرخا وملتزما بالواقعية والشمولية والمعقولية أثناء معالجته الأحداث التاريخية وملتزما بالصدق في الكتابة لأسباب شرعية دينية طالما أن الشرع يحرم التلفيق والأكاذيب.

يقول ابن خلدون: "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم"[64].

ولقد سلك الشيخ علي يحيى معمر الخطوات العلمية الدقيقة الآتية في نقده كُتّاب المقالات وتأليفه كتبه التاريخية:

- اختيار موضوع البحث:

ضبط الشيخ إشكالية البحث بناء على ما وجد في كتب الآخرين عن تاريخ الإباضية من تشويه كبير للحقيقة، وعلى ما سمع من خلط في المفاهيم حيث أنصت إلى نقاش كان يدور بين مجموعة من الناس فهاله الأمر وعقد العزم على توضيح ما أُبهم، وتفصيل ما أُجمل حتى تتضح الرؤى.

ففي كتابه "الإباضية في موكب التاريخ" بيّن الشيخ علي يحيى معمر منهجه وذكر البواعث التي دفعته إلى التأليف فقال في مقدمة كتابه: "عنوان هذا الكتاب الإباضية في موكب التاريخ يُعنى بالشؤون التاريخية لهذه الفرقة من فرق المسلمين الكثيرة المنتشرة في العالم، ولم يكن الباعث على وضع هذا الكتاب غير الكشف عن جوانب مشرقة من تاريخ الأمة الإسلامية الكبرى في طائفة من طوائفها المتعدّدة وفي ركن من أركان وطنها الفسيح"[65].

أما كتابه "الإباضية بين الفرق الإسلامية" فقد رأى الشيخ علي يحيى معمر أن الفرقة الإباضية كانت مظلومة عند كُتّاب المقالات القدامى والمحدثين فأراد أن يدافع عنها من منطلق الغيرة لرفع الظلم عن فرقة من فرق المسلمين، وبيان حقيقتها الناصعة[66].

---

[64] مقدمة ابن خلدون، ج1 ص291.

[65] الإباضية في موكب التاريخ، المجلد الأول، الحلقة الأولى، ص9.

[66] انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص9.

• جمع البيانات والمعلومات:

هذا المنهج العلمي يسمّيه البعض بالمنهج النقلي الذي يقوم في جوهره على جمع الوثائق والنصوص وفهمها واستنباط النتائج العلمية منها بعد تمحيصها ونقدها والاطمئنان إلى صحتها وفقا لأسس وضوابط علمية، ويعد هذا المنهج عماد الدراسات التي تعتمد على النصوص والمرويات[67].

وقد عمل الشيخ علي يحيى معمر على ذلك في كتبه التاريخية، فمثلا في كتابه "الإباضية بين الفرق الإسلامية" وبعد تحديد إشكالية البحث قام الشيخ علي يحيى معمر بسبر المصادر التاريخية التي تحدثت عن الفرقة الإباضية، فانتقى أشهرها وأكثرها ذيوعا في العالم الإسلامي إضافة إلى شهرة مؤلفيها وضخامة منزلتهم العلمية، وما تخبئه تلك الأصول من مادة تاريخية هائلة أصابها الكثير من التحريف والتصحيف.

ولام الشيخ علي يحيى معمر المؤرخين القدامى والمحدثين الذين لم يلتزموا بذلك، وهو لومٌ يغلب عليه العتاب الخفيف، مثل ما قاله في حق أبي الحسن الأشعري: "فكيف وقع أبو الحسن في هذا الخطأ الشنيع، مع أنه من أوائل من انتبه إلى أسباب الزيف عند كُتّاب المقالات، ومن أوائل من شرح الطرق التي يصل منها الخطأ إلى من يكتبون عن الفرق ومقالاتها ومذاهبها، ومن أوائل من حذر الوقوع فيها"[68].

وفي حديثه عن الصور البطولية للفرقة الإباضية في كتابه "الإباضية في موكب التاريخ" لم يكن الشيخ ينوي استقصاء جميعها لأن ذلك يتطلب جهدا كبيرا ومساحة أكبر وإنما قدم نماذج منها تمثل الإباضية في صورتهم الحقيقية وقد صرح بذلك في قوله: "إن كل واحد من هؤلاء الاعلام يستحق أن يشغل من وقت الدارس فراغا لمن أراد أن يتتبع أحداث التاريخ، ولكني في هذه الفصول إنما أعرض صورا، وقد يجمع الإطار الواحد مجموعة من الصور، ولمن أراد الاستقصاء أن يرجع إلى كتب التاريخ وفيها يجد ما يشبع نهمه عن كل واحد من هؤلاء الأعلام"[69].

• نقد مصادر المعلومات والمادة التي جُمعت:

أخضع الشيخ علي يحيى معمر المصادر التي رجع إليها والمادة التي جمعها للنقد والتحليل وفقا للمنهج الذي سلكه.

وتبين للشيخ المسار الخاطئ الذي وقع فيه جلّ المؤرخين الذين كتبوا عن الفرقة الإباضية لاعتمادهم جميعا على مجرد النقل غثّه وسمينه دون عرض الأقوال على أصولها أو إخضاعها للنقد والتحليل، بل إن بعضهم لا

[67] الدسوقي، الدكتور محمد، منهج البحث في العلوم الإسلامية، دار الأوزاعي 1404هـ -1987 ص61.

[68] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص28.

[69] الإباضية في موكب التاريخ المجلد الأول الحلقة الثانية ص172.

يحيلون ما يقولونه إلى مضانه مما يجعل المؤرخ في حرج شديد مع مخالفيه في الرأي لا سيما إذا كان من المشهود له بغزارة علمه.

وقد صرح الشيخ علي يحيى معمر بهذا في قوله: "عندما أقرأ في كتب المقالات ما يتصل بالإباضية تصادفني عجائب في العقائد والآراء والأقوال تنسب إليهم إما بعبارات واضحة صريحة أو بأساليب ملتوية ولكنها معبّرة، وتصادفني كذلك أسماء لأشخاص كثيرين يعتبرونهم أئمة لهم وأنا على يقين كامل بأن ذلك غير موجود عند الإباضية، فإذا كانت هذه الحال مع فرقة ينتشر أتباعها في كثير من البلدان الإسلامية ولا يخلو قطر من أقطارها من كتبهم، فكيف الحال مع من انقرض فلم يبق له أتباع، ولم يترك كتبا مصنفة فيما يختص به، وإنما عاش – إن صح هذا– يطفح على ميدان الحياة حتى طواه موج الزمن في ذكرى التاريخ المجردة"[70].

ومن البداية لم يسلّم الشيخ بما قاله أصحاب المقالات، بل أخضع مقولاتهم إلى التحليل والمناقشة، ففي كتابه "الإباضية بين الفرق الإسلامية" حلّل وناقش المقالات عنصرًا عنصرًا وحاول التأليف بين الأفكار الجزئية التي تمخضت عنها عملية التحليل.

وفي كتابه "الإباضية في موكب التاريخ" عرض الشيخ بعض المسائل وحلّلها وناقشها ودرسها دراسة علمية دقيقة.

- صياغة الفروض وتحقيقها:

ويُقصد به المنهج الاستقرائي، وهو المنهج الذي يتأمل في الظاهرة ويتابعها بالفحص والاختبار حتى يستنبط ملحظا أو فكرة تظل حدسا افتراضيا إلى أن تثبت بالاستقراء فتصير نظرية مقررة أو قانونا علميًّا.

وقد اقتصر الشيخ علي يحيى معمر في تأليفه على الملاحظة وصياغة الفروض دون التجربة لأن الأخيرة من خصائص المنهج التجريبي، وبالتالي يعتبر ما قام به منهجا استقرائيا يستقرئ الحوادث ويصيغ الفروض ويخضعها للميزان العادل ليستنبط منها الحقائق.

وبالتالي قام بتحديد لفظة الخوارج وعلى من تنطبق، فانطلق من الخاص وهو إطلاق لفظة الخوارج على الإباضية ليصل إلى العام وهو إطلاقها على كل من خرج من الملة لتصبح قاعدة كلية. وعلى هذا المنوال أخضع جميع الحقائق التي كانت في كتب المقالات للتحقيق وصيّرها إلى افتراضات وعرضها على الميزان ليحصل في النهاية على نتيجة وقاعدة مطردة يمكن أن تنطبق على جميع ما تم عرضه.

[70] الإباضية بين الفرق الإسلامية، ج1 ص11.

- –استخلاص النتائج:

بعد أن انتهى الشيخ علي يحيى معمر من جمع معلوماته ونقدها وفحصها وتحليلها، ومن صياغة الفروض المختلفة لتفسير الحوادث والظواهر التاريخية وصل إلى مرحلة استخلاص النتائج التي توصل إليها

المبحث الرابع: ردّ الشيخ على كُتّاب المقالات:

كان ردّ الشيخ علي يحيى معمر على كُتّاب المقالات الذين تجنوا على الفرقة الإباضية يتسم بالاعتدال والروية والهدوء والتماس العذر خاصة للعلماء الكبار أمثال أبي الحسن الأشعري الذي كان أول من كتب عن الفرق الإسلامية، وقد مثل هذا الردّ دبلوماسية عالية المستوى من شيخ فقِهَ معنى احترام العلماء وتشرّب أخلاق المدرسة الإباضية التي تعتمد في الأساس على المجادلة والحِكمة والموعظة الحسنة كما قال ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[71].

ويمكن إجمال خصائص الرد على كُتّاب المقالات وما يتميز به في الآتي:

1–الأسلوب الأدبي:

من المعلوم أن الكتب التاريخية تتبع أسلوب السرد للأحداث والوقائع التي وقعت في زمن من الأزمان، وربما يتجه المؤرخ إلى تحليلها ونقدها واستخلاص الدروس منها، لكن أن تتحول الكتب التاريخية إلى كتب تجمع بين سرد الخبر والتحليل والمناقشة والنقد واستذكار العبر بأسلوب أدبي راق فذلك لا يحدث إلا استثناء.

وهذا ما حدث في كُتب الشيخ علي يحيى معمر التاريخية الثلاثة التي تحدثت عن الفرقة الإباضية، حيث تميزت إلى جانب كل ما ذكرنا بأسلوب أدبي رصين ومؤثر حتى إن القارئ ليجد حلاوة عند قراءة مؤلفاته قراءة مركزة، ولعله تأثر بشيخيه بيوض وأبي اليقظان اللذين عاصرهما وتعلم العلم على يديهما وانتهج رؤيتهما الإصلاحية وفلسفتهما الإبداعية في تأليف الكتب.

وبهذا التشويق تمكّن المؤلّف من جعل أسلوبه يختلف من حين إلى آخر، فمرة يرتفع نبضه في العاطفة عند الدفاع عن فرقته وعرض الصور البطولية لأسلافه، ويهدأ ويسكن عند الحديث عن أساسيات أصول الدين وواجبات المسلم، ويموج ويثور في المواقف المؤلمة والموجعة التي تعرضت لها الفرقة الإباضية منذ حدوث الفتنة الكبرى إلى يوم وفاته مما زادت هذا الأسلوب رونقا وجمالا وانسجاما كبيرا بين المعاني والألفاظ تجعل القارئ يتفاعل مع الأحداث وتطوراتها.

كما أن استخدام ألفاظ سهلة وبسيطة وخالية من التعقيد وبعيدة عن المفردات المستهجنة والغريبة يسّرت لطالب العلم ما عجز عن فهمه في الكتب الأخرى، وحتى يجد القارئ سلاسة وحلاوة لا يتعثر بها لسانه ولا تستشكل

[71] سورة النحل الآية رقم 125.

عليه كلمات فكانت هذه طريقة الشيخ علي يحيى معمر في تأليف كتبه وصياغة جمله واختيار كلماته للتعبير عن فكرته أو رسم الصورة المتخيلة في ذهنه أو نقل الإحساس الذي يختلج صدره، إذ بهذا كله تتحدد قيمتها وتتضح رؤى كاتبها ومؤلفها، فكأنه يكتب بجوارحه كلها وبقلبه ومشاعره وعقله فكان صادقا فيما قاله.

وإلى جانب استخدامه كلمات عاطفية حنونة تجذب القارئ لمحتوى الكتاب نراه قد التزم بالتسلسل في الموضوعات وإضفاء عناصر التشويق والإثارة ووصف الصراع القائم بين الفرق الإسلامية لينتهي إلى نقطة جوهرية وهي الدعوة إلى الوحدة.

2-الهدوء والاتزان:

من المعلوم أن أسلوب الحوار الهادئ والمتزن هو الأسلوب الأمثل للتواصل مع الآخر خاصة إذا كان الآخر ينتمي إلى حاضنة الإسلام الواحد رغم الخلاف القائم في بعض المسائل، ولا يمكن أن يقتنع الآخر أو أن يواصل النقاش والحوار ما لم يكن الطرف الأول ملتزما بأدبيات وأساسيات الحوار القائم على الاحترام والمناقشة الهادفة.

وقد كان الشيخ علي يحيى معمر ملتزما بالآداب الإسلامية والأخلاق الحميدة الرفيعة التي تنهاه عن سبّ الأئمة الذين سبقوه بقرون ولم يستخدم ألفاظا نابية في ردّه على كُتّاب المقالات، ورغم أن ابن حزم أثار الشيخ علي يحيى معمر بعد أن تجاوز الحدّ المعقول في وصفه الإباضية في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنِّحل عندما قال: "ومن حماقاتهم قول بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد فإنه كان يقول: كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة من خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله"[72].

فهذا غيض من فيض مما كتبه ابن حزم وغيره من كُتّاب المقالات عن الإباضية والافتراء عليهم من خلال اختراع أسماء لا تنتمي للفرقة الإباضية وأقوال لا تمت إلى حقيقة الإباضية بأي صلة، ورغم هذا الافتراء العظيم من كبار العلماء وما حوتهم كتبهم من تلفيقات واتهامات إلا أن الشيخ علي يحيى معمر كان في رده هادئا ومتزنا.

3-احترام العلماء والتماس العذر لهم:

مما يدعو إلى الفخر والدهشة معًا أن الشيخ علي يحيى معمر لا يُنكر فضل العلماء الكبار في التاريخ الإسلامي مهما كان حجم الخلاف معهم كبيرا أو صغيرا، وقد بدا هذا واضحا من تعليقات الشيخ بعد عرض آرائهم

[72] الفصل في الملل والأهواء والنّحل، المجلد الثالث ج4 ص 191.

ومناقشتها وتفنيدها حيث قال: "ونحن في الواقع قد نلتمس للأقدمين عذرا إذا قصروا في الوصول إلى الحقائق بسبب ما أشرنا إليه من العوائق"[73].

فالتماس العذر للعلماء فيما أخطأوا فيه خُلق إسلامي رفيع، يضمن تلاحم الفرق الإسلامية بعضها ببعض وضمان عدم تفرّقها وتمزّقها، ويجعل أمر وحدتها قابلا للاستمرار والصمود في وجه التيارات المُسيئة والعابثة بجسد الأمة الإسلامية كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

كما أنه يفسح المجال للطرفين المخطئ والمنتقِد لمراجعة ما يصدر منهما من قراءات متعارضة، فالمخطئ ربما يراجع أقواله ويتأنّى في إصدار أي حكم وأي قرار إلا بعد التأكد والتثبت وربما يتراجع عن أحكام مجحفة في حق الآخر صدرت عنه سابقا، والمنتقِدُ ربما يكون بالتماسه العذر لأخيه المسلم قد سمح لنفسه بضبطها ولم يتسرع في الردّ بعنف وقسوة لا سيما وأنه قد تعرض للإهانة والإجحاف ممن يعدّون علماء كبارا.

وهكذا تكتمل الصورة بين الشيخ علي يحيى معمر وكُتّاب المقالات، فلئن عذر العلماء القدامى فإنه عاتب ولام بشدة كل المؤرخين المعاصرين الذين توافرت بين أيديهم المؤلفات الإباضية ومصادرها الأصلية، وسهولة الوصول إليها في ظل التطور التقني والتكنولوجي.

وهكذا كان منهج الشيخ مع هؤلاء الأئمة الأجلّاء الذين كان لهم وزن وقيمة في المجتمع الإسلامي، فهو يحترم العلماء ويلاطفهم باستخدام العبارة التي تتناسب مع مقامهم العلمي حتى في مناقشاته لهم ويبحث لهم عن الأعذار والأسباب التي جعلت مؤلفاتهم تضم هذه المجموعة من الأخبار المزيفة.

فقد قال الشيخ علي يحيى معمر عن أبي الحسن الأشعري بعد أن التمس له العذر: "ويهمني في ختام هذا الفصل أن أؤكد من جديد للقارئ الكريم أنني أضع الإمام أبا الحسن فوق الشبهات وإنما انجر إليه الخطأ عن طريق من وثق فيه ونقل عنه في عصر كثرت فيه النزاعات"[74].

وفي المقابل ورغم كل تلك الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون القدامى من اتهام الإباضية بأنهم خوارج وتلفيق قصص وحكايات لا أساس لها من الصحة، وأوجد لهم الشيخ علي يحيى معمر العذر والتمس لهم وقوعهم في مثل هذه الأخطاء ربما لعدم توافر المصادر أو للظروف السياسية التي عاشها هؤلاء المؤرخون إلا أنه لام وعاتب المعاصرين بشدة وفي الوقت نفسه كان متسامحا معهم إلى حدّ كبير بل وناصحا أيضا لهم باعتبارهم إخوة مسلمين وتغلب على مناقشاته روح الأخوّة الصادقة التي تمنعه من التهجّم أو التكفير كما بينا سابقا في الرد على بعضهم.

[73] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص60

[74] الإباضية بين الفرق الإسلامية، ج1 ص31.

فقال عن الأستاذ علي مصطفى الغوابي: "وأنا أعتذر عن الأستاذ الغوابي بما يشبه اعتذاره عن الإباضية، فهو لا شك مخلص في دعوته، محب لجمع كلمة المسلمين جميعا، مقدر لهم في كل فرقهم، معتز بهم.... وإنما وقع في عدد من الانزلاقات"[75].

وعن الأستاذ أبي زهرة قال: "وإذا عتبت عليه في النقاط السابقة فإنما هو موقف المتعلم الجسور الصريح مع العالم الغزير المادة الواسع الاطلاع المنفسح الصدر الحليم الذي يحتمل شغب المتعلمين بصدر رحب"[76].

أما الأستاذ شيبة الحمد الذي رآه الشيخ علي يحيى معمر متشدّدا في موقفه ومصرّا على جرأته فحوّل التماسه إلى الجامعة التي يدرس بها فقال: "وإنما تُوجّه كلمة العتب الأخوي أو الالتماس الأخوي إلى إدارة الجامعة العامرة ورئيسها الوقور وأساتذتها العظام"[77].

وفي حالة الدكتور يحيى هويدي الذي نقل تاريخ الإباضية عن المستشرقين واعتمد على مؤلفاتهم قال عنه الشيخ علي يحيى معمر: "إن المستشرقين كانوا يفعلون ذلك عن سوء نية أما الدكتور فقد يكون فعل ما فعل عن حسن نية وسلامة طوية"[78] مما يعني أنه ينصحه بالتزام الموضوعية والبعد عن المنهج الاستشراقي الخبيث الذي سرى في المناهج العربية والإسلامية بشكل يصعب مواجهته وتحدّيه.

وعن الأستاذ عز الدين التنوخي الذي يعد أكثر المؤرخين المُحدثين اعتدالا ونزاهة وأمانة لكنه ألبس الإباضية لبوس الخوارج مما جعل الشيخ علي يحيى معمر يلتمس له العذر عندما قال: "ونحن لا نلومه – في موقفه هذا– ولا نعتب عليه فقد استطاع التدليس التاريخي أن يصبغ هذه الدعوى الكاذبة بثوب الحقيقة حتى انطلت على بعض الإباضية أنفسهم في القديم والحديث"[79].

أما المؤرخون المستشرقون فلا عذر لهم ولا التماس، لأنهم يكتبون بقصد بثّ السّموم في التاريخ الإسلامي والتشكيك في قدرة الأمة على صنع القوة وقيادة العالم في مراحل متعددة، ويتعمّدون في مناهجهم إثارة القصص والحكايات الغريبة ويعتقدون بأن هناك من المؤرخين العرب والمسلمين من ينقل عنهم هذه الأكاذيب وقد حدث هذا فعلا، وبالتالي ليس هناك مستشرق يكتب التاريخ الإسلامي بأمانة وصدق ونزاهة، وقد رأينا ذلك من خلال ما قدّمه الشيخ علي يحيى معمر من نماذج في كتابه "الإباضية بين الفرق الإسلامية".

---

[75] المصدر السابق ج1 ص95.
[76] الإباضية بين الفرق الإسلامية ج1 ص 112.
[77] المصدر السابق ج1 ص117.
[78] المصدر السابق ج1 ص156.
[79] المصدر السابق، ج1 ص181.

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف فيما كتبه الشيخ علي يحيى معمر عن كُتّاب المقالات وافترائهم على المذهب الإباضي وما قام به من الدفاع عن الإباضية باعتبارها فرقة من الفرق الإسلامية بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة دون إساءة إلى أحد تبين ما يلي:

6- رأى الشيخ أن الإباضية فرقة وأدها التاريخ وأخفى حقيقتها وما تتميز به من خصائص وضوابط، فأراد أن يعيد لها الحياة من جديد فانتصب محاميًا عنها ومدافعا عن مبادئها دفاعًا مستميتًا.

7- دعا المذاهب جميعًا إلى الوحدة الإسلامية وبيّن ضرورتها في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، كما أشار إلى أن الإباضية ليسوا خوارج كما يعتقد بعض المؤرخين الذين لا يتحرون الحقائق ويأخذون ما هبّ ودبّ دون تمحيص أو تدقيق.

8- فنّد أقوال المؤرخين القدامى والمحدثين سواء كانوا مسلمين أو مستشرقين الذين جعلوا الفرقة الإباضية في قفص الاتهام تنتظر من يخرجها من هذه الزنزانة التي حُشرت فيها ظلمًا وعدوانًا.

9- يغلب على مناقشاته الهدوء، وتزينت بروح الإخاء إذا كان المناقَش مسلمًا مع التماس العذر، أما إذا كان المناقَش مستشرقًا، فإن الحوار معه يتميز بالهدوء والاحتياط اللازم وذلك لما يخبئه المستشرقون من دسائس وسموم.

10- اتبع المنهج التاريخي الحديث الذي يعتمد على الاستقراء والتجربة والملاحظة وقد بينا كيف أن الشيخ قد سار على هذه الخطوات رغم بعض النقائص، ولعل الذي يجذب القارئ عندما يتصفح هذه المؤلفات الأسلوب الأدبي الذي يتميز به، وتلك قدرة تدل على امتلاك الشيخ ناصية البيان تصويرًا وتعبيرًا.

هكذا كانت شخصية الشيخ علي يحيى معمر العبقرية، فرحمه الله رحمة واسعة وطيّب الله ثراه، وأسكنه فراديس جنانه.

وفي الختام أسال الله العلي العظيم أن يتقبل مني هذا العمل خالصًا مخلصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع:

1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة بيروت، 1407هـ -1986م.

2) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، صحّحه عبد الرحمن خليفة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الأولى سنة 1347 هـ.

3) ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار النهضة، مصر للطبع والنشر.

4) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة خرج.

5) أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، الكتاب الأول في السياسة والعقائد.

6) الاسفراييني، طاهر بن محمد شاهفور، أبو المظفر، التبصير في الدّين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ-1983م.

7) الأشعري، علي بن إسماعيل، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث القاهرة.

8) البغدادي، عبد القاهرة بن طاهر، الفرْق بين الفِرق، محمد علي صبيح وأولاده.

9) الدرجيني، أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي.

10) الدسوقي، محمد، منهج البحث في العلوم الإسلامية، دار الأوزاعي 1404هـ -1987.

11) الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة.

12) السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، الناشر: سعود بن حمد بن نور الدين السالمي، مقدمة عز الدين التنوخي.

13) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، أبو الفتح، المِلل والنِّحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1993م-1414هـ.

14) الصنعاني، الحسين بن أحمد بن الحسين، شرف الدين، الروض النضير، شرح مجموعة الفقه الكبير، الطبعة الأولى سنة 1349هـ، مطبعة السعادة، مصر، المجلد الرابع.

15) الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

16) الموقع الرسمي للشيخ عبد القادر شيبة الحمد.

17) بدوي، عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، تموز/ يوليو 1993.

18) بن جميع، عمرو، مقدمة التوحيد وشروحها، صحّحها وعلق عليها أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مسقط - سلطنة عُمان، الناشر: دار الحكمة، لندن، الطبعة الثانية، 1436-2016م.

19) جهلان، عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب–سلطنة عُمان.

20) جوتييه، أ.ف، ماضي شمال إفريقيا، تعريب هاشم الحسيني، الناشر الفرجاني، ص. ب 132 طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى 1970.

21) خليفات، عوض محمد، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، عمّان، الأردن، 1978م.

22) شيبة الحمد، عبد القادر، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ط4، 1433هـ.

23) مجمع اللغة العربية بدمشق.

24) معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1406–1986.

25) معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان، ط2.

26) مقابلة أجريتها سابقا مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العالم لسلطنة عمان يوم 13 جمادى الآخرة 1417هـ الموافق لـ 26 أكتوبر 1996م بجامع السلطان قابوس بروي.

27) موسوعة ويكيبيديا.

28) نلينو، كارلو ألفونسو، بحوث في المعتزلة وخلق القرآن، ترجمة وتقديم د. عبد الرحمن بدوي، دار ومكتبة بيبليون باريس، 2019.

29) هويدي، يحيى، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، المكتبة المدنية، الطبعة الثالثة، 2002.